حول سمات الظاهرة الصهيونية

من الاهمية بمكان، قبل ان نعرض مظاهر تأثر التيارات الفكرية العربية بالظاهرة الصهيونية، ان نحاول ايجاز اهم السمات والخصائص التي تميزها، والتي تمثل، في مجموعها، ابعاد التحدي الصهيوني.

وعندما نتحدث عن الظاهرة الصهيونية، فاننا في الحقيقة نقصد مجمل القضايا التي ارتبطت بها، سواء بالفكر الصهيوني، او بالممارسات الصهيونية قبل العام ١٩٤٨، ام بالكيان الصهيوني ذاته، بعد ذلك.

لقد ولدت الحركة الصهيونية السياسية، رسميا، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر؛ وذلك بانعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بال برئاسة هرتسل؛ وهو المؤتمر الذي مهدت له كتابات عديد من الكتاب الصهيونيين. ولقد طرحت الصهيونية السياسية نفسها كحل للمسألة اليهودية انطلاقا من اعتبار اليهود عنصرا متميزا مستقلا وغير قابل للاندماج او الحياة الا في ارض مستقلة تجمع شمل اليهود من انحاء العالم؛ حيث تقام الدولة اليهودية. وقد كانت نشأة الحركة الصهيونية السياسية مرتبطة، في جانب منها، بالتيارات الفكرية والحضارية السائدة في اوروبا آنذاك، وتوسع الحركة الاستعمارية. وأمام هذين التيارين شهدت اوروبا تراجع الليبرالية ومفاهيمها التي انطلقت في اعقاب الثورة الفرنسية[1].

وسوف نحاول ان نقدم، بايجاز، ابرز السمات التي تميز الظاهرة الصهيونية منذ ذلك الوقت، فكرا وممارسة وكيانا بعد ذلك.

١ ــ الصهيونية، فكر استعماري

ارتبط الطابع الاستعماري للصهيونية، منذ البداية، بتلك العلاقة التاريخية المعروفة بين الصهيونية والاستعمار، وبموقف الصهيونية المعروف ايضا من فلسطين.

لقد كان قادة الصهيونية الاوائل على وعي بانه بدون دعم الدول الاستعمارية الكبرى للحركة الصهيونية لا مجال لتحقيق اهداف الصهيونية، وكان هرتسل واضحا في دعوته لربط الحركة الصهيونية بالتوسع الاستعماري الاوروبي. وعلى حد تعبير احد الكتاب، فان «رواد الصهيونية قد عرضوها للزواج من اكثر من دولة قبل ان تهتدي الى بريطانيا». فمنذ طرح موسيس هيس (كاتب الماني يهودي اصدر العام١٨٦٢ كتاب: روما والقدس) على فرنسا فكرة الدولة اليهودية مقابل خدمة المصالح الفرنسية في الشرق، منذ ذلك الوقت، ابدع هرتسل في عرض الفكرة نفسها على كل دولة ذات اطماع استعمارية في الشرق. وبهذا الشكل، اجرى هرتسل اتصالا مع المانيا وبريطانيا وروما في العامين ١٨٩٨ و ١٨٩٩، والدولة العثمانية بعد ذلك، الى ان اهتدى قادة الحركة الصهيونية الى بريطانيا، الى اخر التطورات المعروفة.

وغني عن التفصيل القول بالعلاقة الواضحة بين اسرائيل منذ قيامها، وبين الدول الاستعمارية، وبصفة خاصة الولايات المتحدة الاميركية.

والحقيقة ان القول بالعلاقة الواضحة بين الصهيونية والاستعمار، لا يدفعنا الى